

الأديب و المُفكّر الرَّاحِل رَمَضانَ عَبدِ الرَّحمنِ لَأَونَدَ

الإِنسانَ العَرَبِيَّ الجَدِيدَ



الإسلام ديمقراطية إنسانية

المقدمة..

مؤثرات موسيقية.....

طرق على الباب.....

الشيخ: ادخل..

حركة فتح الباب.....

خالد: السلام عليكم ورحمة الله.

الشيخ: أهلاً بك يا خالد. كيف حالك؟ وكيف إخوانك في المعسكر؟

خالد: كلهم في خير. ولكنهم قلقون.

الشيخ: ولماذا القلق يا بني؟

خالد: لقد عودتهم أن تلتقيهم في كل أسبوع أو بين اليوم واليوم. وها أنت قد غبت عنهم في هذه المرة رغم أنهم بلّغوا بزيارتك لهم.

الشيخ: أنت ترى يا خالد أنني شيخ كبير.. وقد شعرت اليوم بشيء من الرهق فاخترت البقاء في المنزل.

خالد: إذن أتركك لنفسك. وأرجو الله أن يقويك ويعيد إليك صحتك.

الشيخ: كلا يا بني. بل ابق هنا. لعل حديثي إليك اليوم في حاجة إلى الهدوء.

خالد: كما تشاء يا جدي.

الشيخ: هيه يا خالد.. حدثني عن رفاقك وإخوانك. كيف هم في هذه الأيام؟ هل يحاولون أن يحسنوا سلوكهم وتصرفاتهم؟ هل تشعر بظهور شيء جديد عندهم؟

خالد: الحق يا جدي أن اجتماعك بهم قد أحدث تغييراً ظاهراً في كثير من أخلاقهم وزودهم برؤية أوضح لأشياء حياتهم ولأسباب المشكلات التي تعترضهم.

الشيخ: الحمد لله على فضله.

خالد: كنت وعدتني يا جدي كما وعدت زملائي بالتحدث عن الديمقراطية في محتواها الإسلامي اذا صح هذا التعبير .

الشيخ: حياً وكرامة. لكنني قبل التحدث إليك وأنت صاحب الأذن الواعية والقلب الذكي أعرض عليك المشهد التالي..

نقلة موسيقية.....

المريضة: آه.. آه.. دخيلك يا دكتور. إن ألمي أعظم من أن يحتمل.. آه.. إنه شديد جدا.

الدكتور: أين موطن الألم يا سيدتي؟

المريضة: هنا يا دكتور.. لا.. بل هنا.. في صدري. وظهري. بل في كل مكان من جسدي.

الدكتور: هل عملت بكل التوصيات ونفذت الوصفة وتناولت كل الأدوية في الأوقات المعينة؟

المريضة: بلى يا دكتور..

الدكتور: كيف حالك مع زوجك وأولادك.

المريضة: في ستر حال يا دكتور.

الدكتور: وهل تظنين أن الدواء يشفي اذا لم تساعد به على شفائك؟

المريضة: وكيف ذلك يا دكتور؟

الدكتور: قلت لك أكثر من مرة: ليس الجسد آلة ميكانيكية. بل ولا هو آلة إلكترونية. إنه يا سيدتي كائن

حي. يشترك في تحقيق وحدته الصحية كل شيء فيه. سلامة الأعضاء وسلامة النفس أيضاً. الأفكار السوداء

والانفعالات العنيفة تفسد الصحة تماماً كالميكروب العادي. يا سيدتي اذا لم تعالجي نفسك بالصبر والإيمان

وسعة الصدر والتحرر من الأفكار السيئة والانفعالات العنيفة. فان أدويتي تبقى عاجزة. أفهمتِ الآن؟

المريضة: فهمت. فهمت كثيرا. ولكنني لا أستطيع. كل شيء في حياتي يفسد عليّ هدوئي النفسي.. الزوج..

الأولاد.. الأقارب.. الناس. الدنيا كلها..

الدكتور: هل تريد الحقيقة؟

المريضة: ليس إلا الحقيقة يا دكتور.

الدكتور: الحقيقة يا سيدتي أنك مسؤولة عن كل ما يجري في نفسك.

المريضة: " صارخة " وكيف ذلك؟ آه.. آه..

الدكتور: هدئي من روعك يا سيدتي. سنحاول أن نتفاهم.

المريضة: وكيف تتهمني بما لم أقترفه من الخطأ؟

الدكتور: هل تظنين أيتها السيدة أنك من دون الناس تواجهين مسؤولية العائلة وذوي القربى والأولاد؟
المريضة: ولكن الوضع عندي مختلف.

الدكتور: هذا ما توهمين به نفسك ولكي أثبت لك خطأك حدثيني حديث آخر خلاف بينك وبين عائلتك..
المريضة: كان ذلك أمس. عند الساعة الثامنة مساء. جاء زوجي إلى المنزل يبدو عليه التعب والرهق..
نقطة موسيقية.....

الزوج: مساء الخير.

المريضة: بجفاف.. مساء الخير.

الزوج: أين الأولاد؟

المريضة: انهم في الغرفة الداخلية.

الزوج: وماذا يفعلون؟

المريضة: لست أدري.

الزوج: وكيف تتركينهم يلعبون حتى هذه الساعة المتأخرة؟

المريضة: لست أدري.. انا مريضة وكفى..

يرتفع صوت الأولاد مزعجاً شديداً..

الزوج: " صارخاً " كفى يا أولاد.. كفى.. ليذهب كل منكم إلى فراشه.

المريضة: ولماذا تصرخ فيهم؟ هل هم عبيدك؟

الزوج: وهل أنا عبدهم؟

المريضة: أنت حر.

الزوج: والله عال.. تربية عظيمة جداً.. " يلتفت إلى الأولاد " اذهبوا إلى غرفتكم وناموا.. هل تسمعون؟

المريضة: لم يبقَ إلا أن تضربهم.

الزوج: أوليس من حقي أن أضربهم وأريهم.

المريضة: وتضربني أنا أيضاً؟!

الزوج: هل بدأنا بإثارة الخلافات؟

المريضة: اسمع يا فؤاد.. ابتعد عني.. فأنا لا أطيق المزيد من المحاولة.

الزوج: طيب. كما تشائين.. هل أعددت العشاء؟

المريضة: لم أستطع إعداده.

الزوج: وماذا نتعشى؟

المريضة: الثلاثجة أمامك خذ منها ما تشاء..

الزوج: أهذه عيشة يا نفيسة؟ هذه ليست حياة عائلية.. أنا سأنفجر من الغيظ..

المريضة: إنفجر يا سيدي.. إنفجر.. لماذا لا تسبني.. ولماذا لا تضربني؟ ألا يكفي كل هذا العذاب الذي

ألقاه؟ يكفي أنك تحرمني من كل شيء.. صباحنا كمسائنا.. ونهارنا كليلنا.. " ثم تجهش في البكاء " ..

نقطة موسيقية.....

الدكتور: أهذا هو حادث الأمس؟ ألم تنقصي في روايته شيئاً؟

المريضة: لا زيادة ولا نقصان.

الدكتور: وكيف تريد أن تشفي من مرضك وأنت على مثل هذه الأخلاق.

المريضة: وماذا في أخلاقي؟

الدكتور: اسمعي يا سيدي. إما أن أقول لك الحقيقة أو أسكت.

المريضة: بل قل الحقيقة.

الدكتور: أليس زوجك إنساناً من الناس. له عواطفه وأفكاره وحقه في بيت مريح وحياة منظمة وطعام طيب.

المريضة: وماذا أصنع له؟

الدكتور: تستطيعين أن تصنعي الكثير لو أنك تتحررين من أنانيتك وسوء تصرفك.

المريضة: " تبكي " وأنت ضدي.. أيضاً يا دكتور؟ كل الناس ضدي. لا أحد معي. حتى أمي وأبي.

الدكتور: أنا لست ضدك يا سيدي. بل أنا معك. وكل ذوي قُرباك معك أيضاً. وزوجك في مقدّماتهم. ولكنك

في حاجة إلى الشجاعة وإلى النظام وإلى قليل من التضحية والإيثار.

المريضة: وماذا أفعل؟

الدكتور: سأقول لك ما تفعلين. كوني أماً محبة حازمة.. وزوجة مخلصه في خدمتها.. وأقلي من الشكوى

والصراخ. وستجدين أن كل شيء سيكون على أحسن حال..

المريضة: سأفعل يا دكتور.. سأفعل.

الدكتور: قد تفشلين في المرة الأولى. ولكنك ستنجحين بالإصرار والإخلاص في تغيير نفسك. ثم ستكتشفين

بعد ذلك سحر الدواء ومعجزته في شفائك من المرض..

نقطة موسيقية.....

الشيخ: هل سمعت كلام الدكتور يا بني.. وهل تابعت قصة المريضة؟

خالد: نعم يا جدي.

الشيخ: يا بني.. المجتمع في نظر الإسلام كهذه المريضة حينما تفاجئها العلل.

خالد: هل لك أن تفصح يا جدي؟

الشيخ: يا بني الدواء الذي يؤخذ من الفم والحقنة التي تؤخذ في العضل أو في الشريان. والكدمات التي توضع على مواطن الالتهاب في الجسد هذه غير كافية لإنقاذ الجسم المريض.. إن الروح القلقة المتعبة. وإن ما يرافقها من الضياع والشكوى هو الذي يشارك جدياً في تقرير مصير الجسد.

خالد: وكيف نطبق ذلك في المجتمع يا جدي؟

الشيخ: يا بني تغيير الأوضاع المادية في المجتمع ليس هو الذي يصلح المجتمع وحسب. إن أخلاق الناس وأوضاعهم الروحية وسلامتهم من الآفات النفسية كل هذه تمثل قاعدة الانطلاق.

خالد: وهل يقول الإسلام بذلك؟

الشيخ: الإسلام لا يقول إلا بهذا الرأي. الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينظم الدولة ولم يشرع للناس إلا بعد أن حقق التغيير في نفوسهم. وعندما شعر أنهم تحرروا من الخوف والأنانية والقلق والأساطير بدأ ينظم الدولة بأمر من الله سبحانه وتعالى.

خالد: وما علاقة هذا كله بالديمقراطية في محتواها الإسلامي؟

الشيخ: لأن الحرية الديمقراطية يا بني ذات موضوعات تتصل بمصالح الناس وأوضاعهم المادية وعلاقاتهم الاجتماعية. إن في المجتمع روحاً كالمصنفة في الجسد التي حدثنا عنها رسول الله. إذا صلحت صلح الجسد كله.. وإذا فسدت فسد الجسد كله. هذه المصنفة هي القلب.

خالد: هل تقصد يا جدي أن نشوء المحتوى الإسلامي في الديمقراطية مشروط بصلاح هذه الروح؟

الشيخ: هو ذاك يا خالد.

خالد: وكيف السبيل إليه؟

الشيخ: بالقدوة الحسنة والإرادة الطيبة والنية السليمة وأولاً وأخيراً بالعودة عودة صادقة إلى الله.

خالد: هل لك أن توصيني وصية أخيرة؟

الشيخ: جاء أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو إليه أمره ويذكر له أنه لا يستطيع الامتناع عن

السرقه والزنى. أتعرف ماذا قال له الرسول عليه السلام؟

خالد: وماذا قال له؟

الشيخ: قال له: لا تكذب. وبذلك فتح له باب التطهر ودله على الطريق الذي ينقذ به نفسه من أمراضها وزورها وجبنها وفسادها. إن مهمتنا يا بني أن نبدأ اصلاح نفوسنا بقول الحقيقة.. لا نكذب ولا نزور ولا نبالغ ولا نصور الأشياء على غير ما هي عليه.

خالد: وهل يقودنا هذا إلى الحرية في نظر الإسلام؟

الشيخ: وأكثر من ذلك. إنه يقودنا إلى عالم تنتفي فيه التعاسات التي يصنعها الخوف والعدوان والطمع والجريمة. ويظهر فيه البر الحقيقي الذي يرافقه الإيمان والصبر الجميل.

خالد: ومتى تحدثني عن مقومات الديمقراطية الإسلامية؟

الشيخ: بل قل متى أحدثكم عنها.. في لقاء قادم إن شاء الله معك ومع رفاقك في المعسكر.

صوت: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.

صدق الله العظيم